صاحب رحلة

اول شرقي (عراقي) الى اميركة

Premier voyageur iràquien en Amérique.

(تتمة)

بيت الحلبي من بيت صاحب الرحلة

يقفنا القس نصري في كتابه (٢ : ٣٥٩) على اصل بيت الحلبي وسبب تسميته في قوله :

« وكان للخوري ايليا [صاحب الرحلة] ابن اخ يدعى اسحق فقصد هذا عمه الى رومية فاجلسه في احدى مدارس اوروبة الشهيرة فنجح اسحق وصار ترجماناً لسفارة دولة اسبانيا في رومية ونال رتباً جليلة . ثم عاد الى الموصل بعد ان حج الى القدس الشريف ، ولما رأى ان عائلته قد قرضت تزوج بمريم من بيت طربوش التي كانت اختها زوجة عيسى الرسام ، ثم قصد حلب بآله ، ومن ثم يعرف وصفه بآل بيت الحلبي . » اه

بيت الحلبي في الموصل

وقال القس نصري (٢ : ٣٦٠) : « وولد لاسحق ابن سماه الياس باسم عمه الخوري ايليا وابن آخر سماه يوسف . وهذان عادا الى الموصل في اثناء عود الحاج حسين باشا من آل عبد الجليل من مأموريته في حلب الى الموصل(١) اذ اختار الياس الحلبي المذكور صرافاً واشتريا البيت المعروف الى يومنا هذا ببيت الحلبي وتناسبا مع بيت الرسام ، فسعيا في نشر الكثلكة » اه . وروى القس انعامات الكرسي الرسولي على هذا البيت ووفاة جدهم اسحق وهو مسافر بحراً الى اوروبا على ما نقل .

---

١) قال تاريخ حلب للطباخ (٣:٣٣٦) عن سلك الدرر للمرادي (٢:٥١) ان ولايته في حلب كانت في سنة ١١٧٠ (١٧٥٦ م) وعن سالنامة حلب انها كانت في ١١٧١ ورجح الطباخ المرادي . وفي الآثار الجلية العمري (مخطوط) في اخبار سنة ١١٧١ قوله : « وفيها ولي الموصل الحاج حسين باشا فجعل المتسلم في الموصل اخاه فتاه بك وقدم الى الموصل » . وفي سجل عثماني انه وليها في شعبان سنة ١١٧١ وفي سالنامة الموصل لسنة ١٣٠٨ هـ (١٨٩٠ م) انه وليها في سنة ١١٧١ . وقد وليها ثماني مرات .

وذكر القس نصري مراراً بيت الحلبي متصرفاً للعقيدة الكاثوليكية وموالياً للاباء الدمنكيين من ذلك ذكره لالياس (٢ : ٣٧٢) رئيساً لاحد حزبي الطائفة وكانت قد انقسمت بعضها على بعض لامور طقسية وامثالها .

وذكرت الياس رحلة سيستيني (١) في سنة ١٧٨١ (ص١٤٢) صيرفياً عند والي الموصل سليمان باشا الذي هو من اسرة موصلية (ص١٤٦) (قلت : وهي اسرة عبد الجليل) وقالت الرحلة (١٤٥) : ودعانا الصيرفي الياس الى غداء الظهر لكننا رجحنا العشاء عنده . ثم قالت (ص ١٤٦) : « وكان عشاؤنا عند الصيرفي الياس ومسكنه دار انيقة مرتبة وفقاً لذوق اهل ديار بكر ، فكانت لنا فرصة نرى فيها النساء داخل بيوتهن» . ثم وصف لبسهن ووضعهن . ثم قال (ص١٤٧): « ان اسرة السنيور الياس حلبية كاثوليكية وهو يتكلم الايطالية . ولهم صلة متينة بالمرسلين [الدمنكيين ، وكان قد ذكرهم] وكان العشاء على غاية مايرام من خدمة ومأكل » . اه

وقال « هويل » (٢) في رحلته (ص٥٣) ما تعريبه :

« وغادرنا قره قوش في ٢ نيسان(١٧٨٨) صباحاً في الساعة السادسة فوصلنا الى الموصل نحو الساعة التاسعة ...

فبلغ الخواجا الياس — وهو تاجر قديم ارمني [وهم في ذلك فانه كلداني] — خبر قدوم ثلاثة رجال افاضل من الانكليز ، فدعانا ان نذهب اليه واوفد الينا خيلا لهذا الغرض فوجدناه في دار بنيت حديثاً وهي نظيفة انيقة والم تكن موافقة للذوق الاوربي...

وفي٥ نيسان بدأت اخاف ان الدار التي ابتناها حديثاً الخواجا الياس والتي نسكنها تزيد مرض الميجر ماكلود (Macleod) وكان لايزال متوعكا .

وفي ٦ نيسان استأذنا مضيفنا المحبوب الخواجا الياس وغادرنا الموصل...» اه

وللبطريرك يوحنا هرمز المتوفى في سنة ١٨٤٠ ترجمة لنفسه (٣) وقد نقلت

---

١) اسم كتابه بالافرنجية في جزء سابق .

(5) Th. Howell. - Voy. en retour de l' Inde. . trad. de l' angl... Paris. 1752.

(٣) وذكر للبطريرك ترجمته لنفسه القس تفنكجي في رسالته بالفرنسية المسماة الكنيسة الكلدانية قديما وحاضراً (ص١٤) بدون ان يوردها .

الى الانكليزية في كتاب المرسل البروتستاني بادجر (١) المسمى « النساطرة وكتب طقوسهم ... » ١٥٥:١ » وفيها ذكر الياس الحلبي

وفي كتاب الآثار الجلية في الحوادث الارضية لياسين بن [illegible] العمري (٢) الذي كانت ولادته في سنة ١١٥٨ هـ (٣) « ١٧٤٥ م » تهكم لصاحبه [illegible] الحلبي التاجر » وغيره مع استهزاء وتنديد وقذف اليم في اخبار سنة ١٩٢ [illegible] « ١٧٧٨ م » وسبب ذلك اختلاف الكلدان بينهم لامور طقسية وغيرها خاصة [illegible] يوسف في تأييد الحزب المسمى حزب المسيحيين. وفي ذخيرة الاذهان للقس نصري في جزءه الثاني بحث عن هذا الاختلاف .

وفي خزانة ديوان الهند « فهرستها ص ٢١١ عدد ٧٣٠ » نسخة من كتاب يتضمن « علم المعرفة الحقيقية ... » تعريباً من السريانية للراهب السرياني عبد النور الامدي وفي آخر النسخة قوله : « وقد اهتم بكتابة هذه النسخة الاخ المكرم ... والمسيحي القاثوليقي ... الخواجا المبجل القاروي [كذا] الممثل الخواجا جرجس بن المومن المرحوم الخواجا يوسف الحلبي ... وقد صار تحريره بيد الضعيف شماس ايليا بن قسيس عبد الاحد الموصلي سنة ١٨٢١ في اوائل شهر آذار [الموافقة] هاجرية [كذا] ١٢٣٦ » اه .

بيت صاحب الرحلة بغدادي الاصل

رأينا في ما ذكره القس نصري ان صاحب الرحلة من نسل البطاركة النساطرة والعشيرة الابوية وسيبين من نصوص اوردها بشأن نصوص صاحب الرحلة صحة ذلك . اما قول القس عنه انه من نسل البطاركة ، فهو يريد من نسل بيتهم اذ ان البطاركة لا يتزوجون .

(1) Rev G. P. Badger. - The Nestorians and their Rituals. London. 1852.

٢) كنت رأيت منه نسخة في الموصل في خريف ١٩٢١ عند فتح الله سرسم . وتجد منه نسخة في المتحفة البريطانية (فهرستها المطبوع في سنة ١٩١٢ ص ٣١ عدد ٦٣٠٠) وفي مدرسة الخياط في الموصل (مخطوطات الموصل للدكتور الجلبي ص ١٤٠) .

(٣) غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام للمؤلف نفسه (مخطوطي ص ٣٨٠) في ترجمة علي افندي العمري .

وقال القس « ٢ : ٣١٨ ح » : « أن العائلة الابوية كانت قاطنة بغداد قبل انتقالها الى تلكيف والقوش» وقال « ٢ : ٨٢ » : « وكان بطاركة المشارقة بعد القوائل والحروب التي ثارت في المشرق قد هجروا بغداد واقام مار يابالاها كرسيه في دير مار يوحنا الذي عمره في مراغة . وبعد خراب الدير اخذوا يتنقلون من مكان الى مكان الى ان وصلوا الى بلاد ما بين النهرين . واقام بعضهم في دير الربان هرمزد وبعضهم في الموصل وغيرهم في دير مار اوجين ... » اه واذ قال يابالاها الذي عمر دير مار يوحنا في مراغة ، فهو اذن يابالاها الثالث المتوفى في سنة ١٣١٧ . وترجمته في كتاب اخبار بطاركة كرسي المشرق من كتاب المجمل المطبوع في رومية في سنة ١٨٩٦ « ٢ : ١٢٢ » (١) .

وقال القس نصري « ٢ : ٧٥ » : « خلف يابالاها في الرئاسة العليا على النساطرة طيماثاوس ... ولما توفي يابالاها اختير طيماثاوس بعد ان فرغ الكرسي ثلاثة اشهر ونودي به جاثليقا سنة ١٣١٨ م وهو الثاني بهذا الاسم(٢) » . اه

وقال القس ايضاً « ٢ : ٨٣ » : « المراد بعشيرة الاب « العائلة » او السلالة التي كان يخرج منها الجاثليق أو البطريرك ابو الاباء للطائفة النسطورية ... واول من سيم جاثليقاً من هذه العائلة هو طيماثاوس خليفة يابالاها اليغوري(٢) وكان خلفاؤه ايضاً من قرابته العمومية الى زمان شمعون المعروف بالباصيدي الذي جلس سنة ١٤٨٠ . وسن شمعون الباصيدي هذه العادة بنوع قطعي ... فعين شمعون المذكور اول مرة خلفاً له من عشيرته واسامه رئيس اساقفة لكي يتخلفه بعد موته . وقد حذا حذوه كل الجاثالقة الذين خلفوه . » اه

قال ايضاً « ٢ : ٨٤ » : « واقر الجاثالقة المشارقة كرسيهم بعد ان رحلوا من بغداد في مراكز شتى ولو كانوا يعودون احياناً اليها ... واخيراً اتوا القوش نحو سنة ١٤٣٦ . وبعد مبادئ الجيل [القرن] السادس عشر كانوا يقيمون غالباً في دير مار هرمزد القريب من القوش ... » اه

وراح القس نصري يروي « ٢ : ٨٨ و١٤٨ و١٥٠ و١٥٣ و١٧٦ و١٨٦

(1) J. B. Chabot.- His. de Mar Iabalaha. Trad. Paris. 1895 .

(٢) يابالاها هذا هو الثالث كما يفهم مما يليه في المتن .

و ١٩٤ » تبوؤ ابناء هذا البيت للكرسي البطريركي وانبأنا باخبارهم حتى اتى الى زمن صاحب الرحلة ووفاة ايليا الثامن نسطوريا في ٨ حزيران سنة ١٦٦٠ وهو عم صاحب الرحلة . ثم ذكر « ٢ : ٢٢٣ » البطريرك الذي قام مقامه من هذا البيت ايضاً (١) .

ويا ليت القس نصري صرح بمصدره في بغدادية هذا البيت.

١) ويجدر بنا في هذا المقام ان نطلع على اصل اسرة مار شمعون البطريرك الحالي على النساطرة . قال القس نصري: «٢:١٥١» :« وخلفه[المخلوف يابالاها وهو الثالث من هذا الاسم في سلسلة البطاركة المشارقة] في الرئاسة على المشارقة الكاثوليك ، شمعون دنحا مطران جلو وسمرت وسلمس » . ثم قال(ص١٨٧) « ان البطاركة خلفاء شمعون يوحنا سولاقا الكاثوليكيين — بعد شمعون دنحا مطران سلمس وسمرت — هم الشمعونيون الذين اخذوا اسم شمعون دنحا الى يومنا هذا . » وقال « ص١٨٨» : « وبعد شمعون دنحا الذي سميناه بالاول وقد عرفوا [وقد عرف البطاركة الشمعونيون] بالنسبة اليه بالشمعونيين خلفه شمعون الثاني ... » وقال « ٢ : ١٩٠ » : « ولم يلبث هؤلاء الشمعونيون في المعتقد الكاثوليكي الذي اتى به سولاقا زعيم بطريركيتهم بل نزعوا الى النسطرة من جديد بعد شمعون الخامس ١٦٥٣ — ١٦٩٢ ... » . وقال : « وروي ان البطاركة الشمعونيين هم من السلالة الابوية كما هو الشائع اخذاً عن اقوالهم . وكانوا يعرفون بمشابة جثالقة وخاضعين لبطاركة العائلة الابوية القاطنين في القوش ونواحيها كما يظهر من سياق هذا التاريخ بناء على الرسائل المنفذة من هؤلاء البطاركة الى اولئك الشمعونيين فيها يدعونهم جثالقة ويتكلمون معهم كمن له سلطة عليهم . ولعل شمعون دنحا « وفاته في نصري٢ : ١٥٤ كانت في سنة ١٦٠٠ » الذي اخذوا عنه هذا الاسم ، كان الاول بينهم من السلالة الابوية . ولذلك فهؤلاء الشمعونيون قد تعلموا من بطاركة الموصل البابليين تلك العادة الممقوتة بان ينصب البطريرك بحق الخلافة من العشيرة الشمعونية » الخ . اما ما قاله المطران بطرس عزيز في مجلة النجم الموصلية « ١ [١٩٢٩] : ٣٠٨ » فهو :

ذكر القسيس في رحلة الاب جوزبة (يوسف)

وبعد ان بحثت عن صاحب الرحلة في كتب مطبوعة في عصرنا الحاضر وفي ما استخرج من كتاب ـ او كتابين ـ طبعه صاحب الرحلة المار الذكر ارى ان نستطلع كاتباً معاصراً له شافهه فدون بحثاً عنه في كتابين كان طبعهما في زمن كان كل منهما في قيد الحياة .

رحل من رومة الاب جوزبه دي سانتا ماريا من الاباء الكرمليين الحفاة « الذي سقف بعدئذ فعاد اليه اسم بيته سبستياني » قاصداً بلاد ملبار في الهند في سنة ١٦٥٦ وعاد منها فاجتاز ببغداد فقدم الى رومة في سنة ١٦٥٩ فكتب رحلته الاولى(١) وقد جاءت فيها « الص ٢٤١ » السطور التالية وهذا تعريبها عن الاصل الايطالي :

« وهذا ما حملني على ترك طريق ما بين النهرين وعلى السير مع دليل البر برفقة الجند ومملوكين اثنين وقسيس اسمه الياس كان نسطورياً ثم تكثلك وهو ابن اخي البطريرك لهذه الطائفة النسطورية . وكان القسيس يقصد السفر الى رومة تبركا » اه .

وفي الطريق قبل وصولهم الى حلب ذكره الاب جوزبه في سياق الكلام « الص ٢٤٤ و ٢٤٨ » وليس في ذلك كبير امر وعاد الى ذكره [الص ٢٧٠] فقال:

« وهذا [اي ايليا حبيب هرمز اسمر] اقنع شمعون دنحا النسطوري مطران جيلو وسلماس وسعرد باعتناق الكثلكة مع حاشيته . فلما توفي البطريرك عبد يشوع الرابع خلفه اعطى الله او [اي] بابالاها . وبعد سنتين توفي هذا ايضاً فاجتمع الاساقفة الكاثوليك في كنيسة مار يوحنان بقرب خسراوا في سلماس وانتخبوا شمعون دنحا الآنف الذكر بطريركا ... اما شمعون دنحا الذي نحن بصدده فهو رأس البطاركة الشمعونيين الذين جعلوا مقرهم في العجم وكردستان وقام بعد ذاك بنحو ثلاثين سنة . » اه . فلم يذكر ان اصل الشمعونيين من العشيرة الايوبية .

١) اسمها بالايطالية في ما سبق ٨ : ٥٠٨ .

« وكان القسيس الياس من جملة الفقراء على مائدة قداسته (١) يوم خميس الفصح وقد تأثر جداً من هذا المثال الصالح لنائب المسيح ، وقال انه يريد ان يذيع خبر هذا العمل بين هراطقة بلاده جميعهم وينقله ايضاً الى البطريرك عمه. ونال القسيس لاخيه عبد المسيح اركدياقونية كنيسة بغداد (٢) وحظي ايضاً بمعاونة نقدية خطيرة الى بيته من المجمع المقدس » اه .

١) هو البابا اسكندر السابع وقد رقي الكرسي الرسولي في سنة ١٦٥٥ وتوفي في سنة ١٦٦٧ . (٢) قال القس يعقوب الكلداني الموصلي ما يلي في حاشية علقها على فاتحته لكتاب التراجم السنية للاعياد المارانية ... « تأليف الفطرك ابن الحديثي المعروف بابي حليم » الذي طبعه في الموصل في سنة ١٨٧٣ (الصرح) وذلك في كلامه على احدى النسخ التي اعتمد عليها : « كتبت في البصرة في سنة ١٠٥٩ هجرية « ١٦٤٩ م » وقفاً لكنيسة مار يوحنا العربي ومار قرياقوس في بغداد للكلدان » اه . وهي السنة التي قدم فيها الى بغداد بولاي لوكوز فتكلم على الكنيسة كما سيجيء .

واذا اردت ان ابحث عن هذه الكنيسة اقول لابد انها الكنيسة التي بيد الارمن « الارثوذكس » اليوم وهي الواقعة في احدى محال الميدان المعروفة : « بمحلة كوك نظر » ويقال لها ايضاً : « محلة رأس الكنيسة » ويسمي الكاثوليك هذه الكنيسة — وقلما يذكرونها — كنيسة مسكنتة . وبقي الى الآن من يقصدها منهم في احيان نادرة جداً طالبين شفاء لمرضاهم ولا سيما لمزبد من جنون . وذكر بولس لوقاس في رحلته Voy. du Sieur Paul Lucas au Levant. Paris. 1704 « ٢ : ٢٥٤ » في اخبار سنة ١٧٠١ — وكان اذ ذاك في بغداد — ان النساطرة كانوا يمارسون ديانتهم علناً « وهو يريد ان يقول ان لهم كنيسة كما يفهم من تعبيره » خلافاً للارمن فانه لا كنيسة لهم على ماسنتقله عنه . وقد ذكر القس نصري هذه الكنيسة باسم بيعة مسكنتة « ٢ : ١٩٨ و ٤٠٢ » واخبرنا باستيلاء الارمن « الارثوذكس » من النساطرة المتكثلكين واستيلائهم عليها في سنة ١٧٤٤ . وروى ايضاً بعض التفصيلات . ولعل تغيير اسمها من

وقفل الاب — وقد صار اسقفاً — راجعاً الى الهند في سنة ١٦٦٠ عن طريق الموصل ، وعند قدومه اليها روى لنا ملاقاته اخاً للقسيس . وهذا

كنيسة « مار يوحنان العربي ومار قرياقوس » الى هذا الاسم وشيوعها بها وجود ذخائر فيها للقديسة مسكنتة قبل ان تصير للارمن .

وذكر الاب ليانذرو الكرملي في رحلته الثانية المطبوعة في سنة ١٧٥٧ Persia ovvero secondo viaggio di F. Leandro di Santa Cecilia... Roma 1757 . ماجرى على هذه الكنيسة التي هي اليوم بيد الارمن يوم كان في بغداد ، وقد غادرها في ربيع سنة ١٧٤٦ كما انه ذكر ارمنياً اسمه « نظر » كانت له اليد القوية في امر نزع الكنيسة من يد اصحابها ولعلها المحلة المنسوبة الى « نظر » هذا . والارمن يرقون اطلاق اسم « كوك نظر » على هذه المحلة الى زمن فتح السلطان مراد بغداد في سنة ١٦٣٨ وهم يروون ان « كوك نظر » كان من رجاله القادمين معه فاذن له ببناء هذه الكنيسة فاشتهرت المحلة به . وادلتهم تستند الى رواية بعضهم عن بعض لا غير . واننا لا ننكر عليهم ان اغلب النصارى القليلي العدد اذ ذاك كانوا يسكنون محال من محال الميدان وجهاته . وقد بقي اثر لسكناهم هنالك الى عهدنا هذا ولا يزال . انما ليس بيدنا نقل كتابي عن « كوك نظر » ولعله نظر الذي ذكره الاب ليانذرو . والذي كان زمانه بعد السلطان مراد بنحو مئة سنة فاصعد الارمن وقته الى زمن ذاك السلطان فكانوا واهمين .

ولا بد ان هذه الكنيسة شيدت بعد الزمن الذي كان فيه ديلاقاله في بغداد في سنة ١٦١٧ فانه قال في رحلته (٢ : ٦٠٣) في كتابه المؤرخ في ٢٢ نيسان ١٦١٩ المرسل به من اصفهان : « وبدأ قبل قليل من السنوات يقيم في بغداد بعض النصارى قادمين اليها من ولايات مختلفة كانوا يسكنونها ، وقد اضطروا الى النزوح من ولاياتهم بسبب الحروب وامثالها من المصائب ، لكن ليس لهم في بغداد حتى الآن كنيسة بل ان حريتهم في ممارسة دينهم فيها ليست بمطلقة على الوجه التام . واذا ارادوا ان يقدسوا ، عليهم ان يلجأوا الى دار خاصة بهذه الممارسة » وكانت بغداد اذ ذاك بيد العثمانيين ، ثم صارت بعد عدد قليل من السنين بيد

الايرانيين فقدم اليها الاب باسيفيك Pacifqiue الكبوشي في سنة ١٦٢٩ عائداً من ايران . ومما في رحلته (الص٣٨٢) قوله : « وكان الاب جست مقام كبير عند قسيسيهم (قسيس النساطرة) حتى انه كان يذهب الى كنيستهم فيجعلهم يصلون على الطريقة الرومانية . وقد عمد يوماً مع القسيس سبعة اولاد بموجب الطقس الكاثوليكي. وكان عمر الاولاد يتراوح بين الثماني سنين والعشر . » اه وبعد ذلك عادت بغداد الى العثمانيين بفتح السلطان مراد اياها في سنة ١٦٣٨ م فجاء اليها في سنة ١٦٤٩ بولاي اوكوز فقال في رحلته (انظر الى الاسم بالفرنسية في ما سبق ٨ : ٥٠٤) « ص٣٣٢ » : « ان للنساطرة في بغداد كنيسة وقد وقعت عدة اختلافات بين قسيسيهم وبين الاباء الكبوشيين... » اه . وعقب بولاي المار الذكر الرحالة تافرنية Tavernier وكان في بغداد في سنة ١٦٥٢ فقال(١:٢٣٦ من طبعة لاهي في سنة ١٧١٨) : « بقي علي ان ابحث عن نصارى بغداد فمنهم من هم نساطرة ولهم كنيستهم ومنهم من هم ارمن ويعاقبة وهؤلاء لا كنيسة لهم وهم يجيئون الى الاباء الكبوشيين فيوزعون عليهم الاسرار . » اه

وبعد شهادة هؤلاء النصارى ـ وهم اعلم من غيرهم بكنائسهم وعددها ـ نرى اوليا جلبي الذي كان في بغداد في سنة ١٠٦٦ هـ (١٦٥٥ م) يقول في رحلته (٤ : ٤٢٢) : « ان للنصارى في بغداد ثماني كنائس وان حالة كنائس الارمن الواقعة بقرب الميدان وبالجورجة [الشورجة] جيدة للغاية» اه . وليس ثمة دليل وان ضعيفاً على صحة ما رواه عن زمنه . وهذا «فيبور» الذي اتى بعده الى بغداد فكان فيها في عهد واليها قبلان باشا (سنة ١٠٨٧ ـ ١٠٨٨ هـ الموافقة سنة ١٦٧٦ ـ ١٦٧٧م) على ما في كتابه المسمى مسرح تركية ...Théâtre de la Turquie Traduit par l' auteur Michel Fébure. Paris. 1682 ص٥٦ فانه يقول (الص١٨٠) : « وكان هؤلاء الناس(الارمن) كانهم من رعية الاباء الكبوشيين لانه لا كنيسة لهم في بابل [بغداد] إلا كنيسة الاباء المار ذكرهم. وفيها يقيمون صلواتهم حسب طقسهم ويحضرون القداس ويتقبلون الاسرار . » اه

وقد دام الارمن بغير كنيسة الى ما بعد ذلك فقد جاء في رحلة انري سوارس سيور دوفال (راجع عنها ما سبق الص ٤٥٤ ح) « مخطوطي الص٨٠»

ما يلي : « ان الارمن من النصارى يقدسون في كنيسة الكبوشيين وكنت يوم الفصح [١٦٩٥] حاضراً القداس وسمعته بموجب الطقس الروماني والطقس الارمني . » اه . ثم جاء في رحلة بولس لوقاس الذي كان في بغداد في ايلول سنة ١٧٠١ (٢ : ٢٥١) ما ملخصه : « ان الاباء الكبوشيين اضطروا مرة ان يتصببوا في قبول الارمن عندهم وكانوا يجيئون اليهم لاستماع القداس فعرض الارمن على وكيل الوالي وعلى القاضي ان لا موضع لهم يقيمون فيه شعائرهم الدينية إلا عند الكبوشيين فاستدعى الباشا المار الذكر ـ واسمه Hali Astrelument [كذا] باشا البصرة ـ والقاضي الكبوشيين في ديوان عامر وامرهم بان يقبلوا الارمن عندهم . وقد كانوا يداومون على المجيء الى الكبوشيين . ثم كان شهر آب من سنة ١٧٠١ الماضية او نحوها ، فورد امر من الاستانة بمنع احداث كنائس في المملكة العثمانية وبالتحقيق عما اذا كان احدث شيء منها في بغداد اذ قد بلغ الاستانة ذلك ... » اه

والظاهر ان تلك الكنيسة التي ذكر الاب ليانذرو والقس نصري اخذ الارمن اياها من النساطرة مع تعيين التاريخ قد عادت بعد ذلك الى اصحابها الاولين فان نيبهر (Niebuhr) الذي كان في بغداد في سنة ١٧٦٦ يقول في رحلته (٢ : ٢٥١): « ان الاباء الكرمليين قد جذبوا اليهم اكثر النصارى الشرقيين الذين في بغداد حتى ان النساطرة ـ وهم نصارى هذه البلاد القدماء ـ اضطروا الى ترك كنيستهم الى النصارى المتحدين [يريد الكاثوليك] » اه . ولم يذكر ان للارمن كنيسة فيبين من ثم ان اخذ الارمن النهائي لهذه الكنيسة الواقعة في محلة « كوك نظر » كان بعد هذا التاريخ ، ولم تعد بعد الى الكلدان اولاد النساطرة .

وكانت كنيسة الاباء الكبوشيين في محلة رأس القرية بعد ان اذن لهم الشاه عباس بالاقامة في بغداد وبتخصيص دار لهم في كتاب كتبه الى صفي قولي خان بتاريخ ٢٨ تشرين الاول سنة ١٦٢٨ وكانت بغداد اذ ذاك بيد الايرانيين فكانت للكبوشيين كنيسة يذكرها التاريخ والرحلات معيناً موضعها . والبحث عنها يزيدنا بعداً عن الموضوع .

وعسى ان يعقد الورتيد صائغيان مقالا خاصاً بالكنيسة التي بيد الارمن

ما دونه في رحلته الثانية (١) « ص ٢٢ ـ ٢٣ » :

« ... وقدم الينا الاخ الصغير للقسيس الياس بعض المبردات . وكان القسيس قد رحل معي قبلا من بغداد الى حلب وكنت اعنته في رومة اعانة جزيلة واراد اخير القسيس ان يذهب بنا الى مكان قريب واقع في جبال الكرد يسمى القوش (وهو وطن النبي ناحوم المسمى الكشكو [Elcesco]) بقصد زيارة ابن عمه بطريرك النساطرة وهو خلف لسلف عمه المتوفى في ضلاله قبل مدة قصيرة. وكانت وفاته بعد ان كان قد بلغ من العمر عتياً (٢) . ولم يكن قد انثنى عن زيغه وان كان القسيس الياس بعد رجوعه من رومة قد اقنعه بغلطه وحرضه على الخضوع للحبر الاعظم وكان تحريضه بلا جدوى (٣) لخوفه الذي لامعنى له من قول القائلين انه افرنجي . وكان عمر البطريرك الجديد ـ وهو ابن عم

اليوم وهي الواقعة في محلة « كوك نظر » فان لديه كل المعلومات المطلوبة . وكنيستهم هذه هي غير كنيستهم الثانية الواقعة في محلة رأس القرية .

1) Seconda Speditiona all Indie Orientali di Monsignore Sebestiani Fr. Giuseppe... di S. Maria. Roma 1672

٢) هو ايليا السابع الذي صار بطريركا في سنة ١٦٢٧ للتوفي في سنة ١٦٦٠ (المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٨٢٧) . وفي رسالة القس تفنكجي (بالفرنسية) المسماة الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية قديماً وحاضراً (ص١٣) نقلا عن المشرق انه كان قد ارتقى الكرسي البطريركي في سنة ١٦١٧ . فقد غلط القس تفنكجي في النقل وراجع ما سبق في هذه المقالة ما هو معنون « بيت صاحب الرحلة بغدادي الاصل » وفيها انه ايليا الثامن وهو الاصح .

(٣) قال بادجر (١ : ٦ـ ١٤٥ ـ ١٤٦) نقلا عن موشيم (Mosheim) ان هذا البطريرك ـ وقد دعاه ايليا الثالث ـ وان رفع في سنة ١٦٥٧ كتاباً الى رومة انما لم يتم الاتفاق بينهما . وتقول لهجة المشرق (٣ [١٩٠٠] : ٨٢٧) انه كان كاثوليكياً وكذلك قول القس تفنكجي (ص١٣) آخذاً اياه عن تلك المجلة . والظاهر ان الصحيح ما اوردته عن القس نصري في ما سبق (١٩٤) من كتابه انه توفي نسطورياً وكما قاله الكرملي فانه كان معاصراً لهذا البطريرك وحاضراً البقعة التي كان يعيش فيها البطاركة واستقى ما قاله من ذوي البطريرك انفسهم . وقد دعا القس نصري (٢ : ١٩٤ و ٣٥٨) هذا البطريرك ايليا الثامن ليتما يدعوه المشرق وتفنكجي ايليا السابع وبادجر الثالث فقد اختلف هؤلاء الكتبة في عدد السلسلة لكنهم اجمعوا على زمن بطريركيته الممتدة الى سنة ١٦٦٠ فجاء قولهم من سنة وفاته موافقاً لقول رحلة الكرملي التي تبين فيها سنة وفاته استنتاجاً .

القسيس — اربع عشرة سنة وقد سقف قبل سنة وقبل ذلك بسنة (١) كهن بعد ان كان راهباً في رهبانية القديس باسيليوس سنتين . فهكذا يكون مجرى الامور حينما تقلد المراتب الكنسية بالوراثة لاسرة واحدة حيث لا يحفظ الايمان خالصاً من الشوائب . وكان يؤمل عبدالله اخو القسيس أن زيارتي للبطريرك ابن عمه تحركه على الطاعة الواجبة للحبر الاعظم. وبما اني كنت في كل دقيقة اترقب السفر أبيت الذهاب الى القوش . وفضلا عن هذه الحال فان الاب جيو. تاديو (Gio. Taddeo) كان مريضاً مرضاً عضالا ؛ فلم يسعني ان اتركه وحيداً . » اه

غادر الاسقف الكرملي الموصل منحدراً راكباً كلكاً (٢) على دجلة الى بغداد فقص علينا ما يلي (ص٢٥) :

« عند قدومي الى بغداد رأيت على ضفة دجلة القسيس الياس وكان ينتظرني هناك كل يوم اذ قد بلغه الخبر بسفري الى هنا . وبمعاونته ومعاونة الاباء المذكورين قبيل هذا [اي الكبوشيين] ركبت دانقاً (٣) ووجهتي البصرة ... » اه

---

١) قال تفنكجي(ص١٣) ان ايليا الثامن هو يوحنا بن مار اوكين(Maroghin) وقد رقي الكرسي البطريركي في سنة ١٦٦٠ وله من العمر خمس عشرة سنة . وقال القس نصري (٢ : ٢٢٣) انه ايليا التاسع وكان يعرف بمروكي ايضاً . وقد جلس على سدة البطريركية في سنة ١٦٦٠ ، وبعد ان تكلم فيبور في كتابه مسرح تركية على جواز تبوؤ الكرسي البطريركي عند النساطرة للصبي حتى لو كان عمره تسع بل ثماني سنوات قال (ص٣ — ٤٦٤) : « كما جرى ذلك للبطريرك « مار الياس » المقيم بقرب نينوى قبل وقت قريب جداً . » اه . وكان فيبور مرسلا كبوشياً فرنسي الجنسية واسمه في الرهبانية الاب جستن من تور (Le Pére Justin de Tours) وقد زار الشرق بما فيه بلاد مابين النهرين وكلدية القديمة من سنة ١٦٥٥ الى سنة ١٦٧٣ . وكانت وفاته في نحو سنة ١٧٠٠ (عن لاروس الجديد المصور) . (٢) لغير العراقي ان يراجع وصفه في هذه المجلة (١ «١٩١١» : ٤٧٢ ح) . (٣) راجع ما قيل عنه في ماسبق (٨ : ٥٠٤ ح) واضيف الى ذلك وصف « اوتر » له ولغيره من السفن فقد قال في رحلته(M. Otter - Voyage en Turquie et en Perse. Paris. 1748) في سنة ١٧٣٧ (١ : ٦ — ١٥٧): « التكنة » : سفينة مغطاة تبنى في البصرة لنقل الاموال بطريق دجلة الى بغداد ، وكذلك

ومن هناك ابحر الى الهند زائرها الكرملي . ثم قدم منها عائداً الى البصرة في سنة ١٦٦٤ وصعد دجلة ، ثم قال (ص٢٢٧) : « وصلت الى بغداد فرأيت فيها قافلة كبيرة على وشك السفر . ومن المسافرين معها اخوان اثنان للقسيس الياس . وقد سبق ذكري اياه غير مرة فراقتني الفرصة في ما يخص بالرحلة ولا سيما السرعة في الرحيل لاني كنت الاحظ جداً حلول زمن البرد والامطار فصممت على ان اواصل المسير حالا ... » اه

وقال صاحب الرحلة (ص٢٢٨) — وهو يسير بين بغداد والموصل — « انه كان يظن ان عبد الله اخا القسيس الياس يعرف شيئاً من الايطالية وقد بان له ان ما يحسنه منها لا يزيد على كلمتين » .

دعنا نرى اخيراً زائر الهند في حلب متخلياً من وعثاء السفر في هذه البلاد الشاسعة . وهذا ما قاله حين سفره من الموصل الى حلب الشهباء (ص٢٣٠) :

« بقي في نينوى (١) عبد المسيح الاخ الكبير للقسيس الياس ورافقنا الاخ الصغير واسمه عبدالله فاشار علينا ان نأخذ معنا زقاً خمراً فحملناه معنا في كيس... ولقد افادنا لاننا كنا نقاسي البرد اناء الليل . » اه

وآخر عهدنا بالخوري صاحب الرحلة في سنة ١٦٩٢ على ما جاء في الكتاب الموصوف في المشرق وفي سنة ١٦٩٣ على ما جاء في الكتاب الذي ذكره القس نصري اذا صح قوله . واملي ان يرى المتتبع شيئاً عن هذا الرحالة الباسل وبيته في مدونات ذلك الزمن الغابر فيكشف لنا غطاء آخر عن امره المنسي اجيالا .

في ٢٥ نيسان ١٩٣١ يعقوب نعوم سركيس

مطالعة

رأينا في الرحلة ان لصاحبها ابن اخ اسمه يونان وفي ذخيرة الاذهان

تسير في الفرات لتأمين الطرق ولضبط اعراب هذه الجهات و « الغراب نوع آخر من السفن لا سطح له لنقل التمر والحنطة وامثالهما وتغطي الاموال بحصر . و « الدانق » يشبه كثيراً الغراب من حيث شكله لكنه اصغر منه . » اه

١) كانت عادة بعض الافرنج ان يطلقوا اسم نينوى على الموصل واسم بابل على بغداد وقد اشار الى ذلك ديلا فاله (ص ٣١ من الملحق بالمجلد الاول) في امر تسميتهم لبغداد بابل .

للقس نصري ان له ابن اخ اسمه اسحق نشأ منه البيت الذي سمي بيت الحلبي ولم يذكر الكتابان اسم والد يونان واسحق انما رأينا في رحلة الكرملي ان لصاحب الرحلة اخوين ، كبيرهما اسمه عبد المسيح والاخر اسمه عبدالله لكننا لانزال نجهل ايهما والد اسحق. هذا ان لم يكن اسحق ابناً لاخ ثالث غيرهما . واما ما سمعه القس نصري فرواه (٢ : ٣٥٨ ح) بقوله : « روي انه كان يوماً ثلاثة اخوة من العائلة الايوبية ... وان الاخ الاصغر هو جد بيت آل الحلبي . ولعله كان يدعى اسحق الذي باسمه دعي اسحق جدهم الآخر ... » فانه غير صحيح وسبب ذلك انه كان قد قال — كما رأينا — (٢ : ٣٥٩) ان اسحق الذي نشأ منه بيت الحلبي هو ابن اخي صاحب الرحلة . واذ قد اراانا صاحبها فيها ان اسم والده هو حنا ، فجد اسحق الذي قال عنه القس نصري انه جد بيت الحلبي يجب ان يكون حنا وليس اسحق . واذا كان فيهم من هو بهذا الاسم فهو ابعد من هذا الجد .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

حديقة النصائح

Un faisceau de Conseils.

حديقتي جميلة اذ بها قد غرست أهل شؤون الحياة
وصية فيها لاهل الحجا تهدي الالى حياتهم كالملمات
ونصها : يا قوم اخلاصكم ينقذكم حقاً ويوهي الطغاة
جنيتم الاثمار من دون ان تحموا البساتين وتروا النبات
ان يبست اشجاركم فاعلموا بانكم لم تعملوا بالوصاة

هذا هو الورد ذابل قد لازمته البلابل
ما أمرها بغريب فكم هوت في الحبائل
وان دهري عجيب يأتي بحق وباطل

يا عندليباً لم يزل شادياً على اناس لم يؤدوا الفروض
أغرك الورد الذي حولهم ؟ فانه ذاو ومأوى البعوض
تنح فالبوم أتى دورها باطلها لا يعتريه الغموض
وقف على غصنك حراً ولا ترض عصاً قد افسدتها الرضوض
فان تغريدك لا ينبغي إلا لقوم إربهم في النهوض

م. جواد